# أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الغلو في المدح

إعداد

أ. م . د. قاسم محمد أحمد

Dr. Kassem Mohammed Ahmed

**Research Summary**

Praise be to Allah, peace and blessings be upon our Prophet Muhammad and his family and companions .:

One of the most common diseases among the people, is overpraising unlawfully, so far as to assume traits never exist in the complimented , and some of it may go far to the extent of religious extremism in order to depict untrue status and stature and over-glorifying.

For this reason I my papers about this topic entitled (The Prophet's methods (may Allah bless him) in the treatment of the excess in praise), I intended this because I want to shed light on this case, diagnosis, and to warn from this disease which causes increasing of societal hypocrisy, and throwing away the seriousness, overpraise of the people hypocritically leads to the occurrence of negative psychological trauma for many people who had been praised are not even thought deserve what has been said and consequently they failed in empirical trials.

If we looked for the reasons which motivate overpraisers in doing so we shall discover diversity reasons, they may return to a defect in the principles, or loss of principles, or lack of principles inherently, including to gain personal interests purely. The tradition of those who play these bad manners whether be intentionally or Unintentionally are of no use.

Paper research consist of preface two sections and conclusion, show the foreground importance and usefulness of the topic the first section defines the complimenting literally and technically with evidence from the Quran and Sunnah, the second section comprises the Prophet's methods may Allah bless him in treatment of excess in complimenting on form of objective study citing the hadiths of the Prophet peace be upon him and the sayings of scholars and commentators, which consequently deducted the meanings of each method, according to my effort .

**الملخص:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه، وبعد:

إن من جملة الأمراض المجتمعية شيوع التمادح بين الناس، والمدح بغير حق، والمدح بما ليس في الممدوح، ومنه ما يصل إلى حد الغلو في المدح الديني المقصود منه إبراز أشخاص لهم مكانتهم وشأنهم والمبالغة في تعظيمهم.

فأحببت الكتابة عن هذا الموضوع، وسميته: (**أساليب النبي ﷺ في معالجة الغلو في المدح**)، وكان سبب اختياري له أني أردت تسليط الضوء على هذه الحالة، وتشخيصها، والتحذير منها، لما سببته من زيادة النفاق المجتمعي، والبعد عن الجدية، ومدح من ليس بأهل لما يقال فيه، وحدوث الصدمة النفسية السلبية لدى كثير من الأشخاص ممن مدحوا بما ليس فيهم حتى ظنوا أنفسهم أنهم كما يمدحون به لكنهم فشلوا في التجارب العملية.

ولو بحثنا عن أسباب قيام المداحين بفعلهم ذلك لوقفنا على تنوع في هذه الأسباب فقد تعود لخلل في المبادئ، أو فقدان المبادئ، أو عدم الإتصاف بالمبادئ من الأساس، ومنها التزلف والتقرب، ومنها تحصيل مصالح شخصية بحتة، ومنها التقليد لمن يقوم بهذا الخلق السيئ بقصد أو بغير قصد.

وقسمت البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، بينت في المقدمة أهمية الموضوع وفائدته وأسباب اختياري له، وعرفت في المبحث الأول بالغلو والمدح لغة واصطلاحا وذكرت أدلة الغلو من الكتاب والسنة، مع تأصيل لعملية المدح وبيان علاقتها بموضوع البحث، ونقلت أقوال بعض العلماء التي تبين مدى تحذرهم من المدح، ثم درست في المبحث الثاني أساليب النبي ﷺ في معالجة الغلو في المدح دراسة موضوعية مستدلا بأحاديث النبي ﷺ وأقوال العلماء والشراح، وذكرت المعاني المتحققة من كل أسلوب والتي أعملت فكري في استنباطها من نصوص الأحاديث.

العدد
الخامس
عشر
٢٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره، والصلاة والسلام على أشرف خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

تعاني كثير من المجتمعات في الوقت الحاضر من أمراض مجتمعية مفصلية تُشْعِر بمقدار الخطر الذي يتهددها وجوديا، ولذلك بلا شك أسباب متعددة قد يقف الجهل والتجهيل على رأسها، ومنها كذلك ضعف الشخصية وفقدان المبادئ واختراق المجتمعات من الأعداء وغير ذلك مما يجعل المجتمع مفككًا ضعيفًا تابعًا سهل التحكم به ممن له مصلحة بالتدخل فيه.

ومن جملة الأمراض المجتمعية المعبرة عن حالة الضعف وأسبابها التي ذكرتها آنفا شيوع التمادح بين الناس، والمدح بغير حق، والمدح بما ليس في الممدوح، ومنه ما يصل إلى حد الغلو في المدح الديني المقصود منه إبراز أشخاص لهم مكانتهم وشأنهم والمبالغة في تعظيمهم.

فأحببت الكتابة عن هذا الموضوع، وقد كان سبب اختياري له للبحث أني أردت تسليط الضوء على هذه الحالة، وتشخيصها، والتنفير منها، والتحذير، لما سببته من زيادة النفاق المجتمعي، والبعد عن الجدية، ومدح من ليس بأهل لما يقال فيه، وحدوث الصدمة النفسية السلبية لدى كثير من الأشخاص ممن مدحوا بما ليس فيهم حتى ظنوا أنفسهم أنهم كما يمدحون به لكنهم فشلوا في التجارب العملية.

ولو بحثنا عن أسباب قيام المداحين بفعلهم ذلك لوقفنا على تنوع في هذه الأسباب فقد تعود لخلل في المبادئ، أو فقدان المبادئ، أو عدم الإتصاف بالمبادئ من الأساس، ومنها التزلف والتقرب، ومنها تحصيل مصالح شخصية بحتة، ومنها التقليد لمن يقوم بهذا الخلق السيئ بقصد أو بغير قصد.

إن المنهي عنه في عملية المدح هو التمادح وهو عملية مشتركة بين أكثر من شخص وقد تكون من طرف واحد يقوم بمدح شخص أو أشخاص بالباطل أو بما ليس فيهم، أو أن يمدح نفسه.

وفائدة البحث تقوم على التنبيه والحث على ترك هذا الخلق السيئ الذي يمثل إحدى الآفات التي تنخر بالمجتمعات والتأكيد على التناصح والتعليم وقبول الإرشاد من الغير حال وقوع المرء في هذا الخلق.

وقد سميت البحث: (أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الغلو في المدح)، وقسمته على مقدمة ومبحثين وخاتمة، بينت في المقدمة أهمية الموضوع وفائدته وأسباب اختياري له، وعرفت في المبحث الأول بالغلو والمدح لغة واصطلاحا وذكرت أدلة الغلو من الكتاب والسنة، مع تأصيل لعملية المدح وبيان علاقتها بموضوع البحث، ونقلت أقوال بعض العلماء التي تبين مدى تحذرهم من المدح، ثم درست في المبحث الثاني أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الغلو في المدح دراسة موضوعية مستدلا بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء والشراح، وذكرت المعاني المتحققة من كل أسلوب والتي أعملت فكري في استنباطها من نصوص الأحاديث.

والأساليب التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم لعلاج الغلو في المدح هي أساليب متعددة استنبطتها من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعني بها الأساليب المباشرة في علاج هذه الظاهرة، وستتبين في هذا البحث.

## المبحث الأول

## في بيان مفهوم الغلو والمدح وبيان عملية المدح

### المطلب الأول: تعريف الغلو وبيان الأدلة في التحذير منه:

**أولا: تعريف الغلو:**

**لغة:** مصدر غلا في الأمر يغلو غلوا، الارتفاع فِي الشَّيْء ومجاوزة الحد فِيه، وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده[١].

**اصطلاحا:** قال الشاطبي: الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحدّ فيه إلى حَيّز الإسراف[٢].

وقال شيخ الإسلام: الغلو مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: أما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق[٤].

والغلو في المدح هو مجاوزة الحد في الثناء على شخص ما.

**ثانيا: الأدلة على التحذير من الغلو :**

ذكر الله سبحانه وتعالى الغلو في القرآن في آيات عديدة، وجاء هذا الذكر مندرجا في الخطاب مع أهل الكتاب ونَصَّ الخطاب على دعوتهم لترك الغلو، وفي هذا إشعار للمسلمين بأهمية الاعتدال في الأمور وأن الغلو سبب في انحراف الأمم والله أعلم.

---

[١] مختار الصحاح: ٢٢٩، ولسان العرب: ١٣٢/١٥، والقاموس المحيط: ١٣١٨.

[٢] الإعتصام: ٣٩٢.

[٣] اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٢٨/١.

[٤] فتح الباري: ٢٧٨/١٣.

**١. من الأدلة من القرآن:**

أ- قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾[١].

ب- قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢].

**٢. من الأدلة من السنة:**

أ- قوله صلى الله عليه وسلم: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[٣].

والتنطع هو التعمق في الشيء، والمغالاة فيه، والمجاوزة حد الشرع فيه، سواء أكان بالقول أم بالفعل أم بالاعتقاد[٤].

ب- من الأدلة أيضا التي يمكن حملها على تحذير الأمة من الغلو حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداةَ جمع – يعني صبيحة ليلة مزدلفة، وهي ليلة يوم النحر: «هَاتِ، الْقُطْ لِي ». فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، يعني: فارموا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد هذا الحديث: عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال[٦].

---

[١] سورة النساء: الآية ١٧١.

[٢] سورة المائدة : الآية ٧٧.

[٣] صحيح مسلم: كتاب العلم – باب هلك المتنطعون: ٤/٢٠٥٥ رقم ٢٦٧٠.

[٤] ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٦/٢٢٠.

[٥] سنن النسائي: كتاب الحج – باب التقاط الحصى: ٥/٢٦٨ رقم ٣٠٥٧.

[٦] اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٣٢٨.

لقد جاءت النصوص الشرعية تبين يسر الإسلام وسهولته، والحث على التوسط والاعتدال في الأمور جميعها وفي هذا ما يستدل به على منافاة الغلو، والإرشاد إلى ضده.

ومن هذه النصوص الشرعية قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ (٢).

## المطلب الثاني: تعريف المدح في اللغة والاصطلاح:

### أولا: المدح لغة:

هو مصدر للفعل مَدَحَ يَمْدَحُ بفتح عينه فيهما من الباب الثالث، وقد جاء في اللغة على معانٍ عدة منها:

أنه نقيض الهجاء، ومنها حسن الثناء، قال ابن منظور: (المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء يقال: مَدَحْتُهُ مِدْحَةً واحدة، ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا ومِدْحَةً، هذا قول بعضهم، والصحيح أن المَدْحَ المصدر والمِدْحَةُ الاسم والجمع مِدَحٌ وهو المَدِيحُ والأَمَادِيحُ.

قال أبو ذؤيب: **لَوْ كَانَ مِدْحَةُ حَيٍّ مُنْشِرًا أَحَدًا أَحْيَى أَبَاكُنَّ-يَا لَيْلَى- الأَمَادِيحُ**

ورجل مَادِحٌ من قوم مُدَّحٍ ومديح وممدوح، وتمدح الرجل: تكلف أن يمدح، وقال الزمخشري: والعرب تتمدح بالسخاء، وهو يتمدح إلى الناس أي يطلب مدحهم، والثناء هنا لا يلزم منه كونه من شخص لآخر بل يمكن أن يكون من الشخص لنفسه، فيقال: فلان يتمدح إذا كان يقرظ نفسه ويثني عليها(٣).

ومنها التشبع والإفتخار، يقال: تمدح الرجل بما ليس عنده: تشبع وافتخر.

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥.

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٣٢٤، ولسان العرب: ٢/ ٥٨٩.

ومن معانيه أيضًا الاتساع، يقال امتدحت الأرض وتمدحت: اتسعت، وامدح بطنه: لغة في انْدَحَّ أي اتسع، وتمدحت خواصر الماشية: اتسعت شبعًا مثل تندحت، ويرى ابن منظور أن تمدح هنا على البدل من تندح[١].

**ثانيا: المدح اصطلاحا:**

عرف المدح بتعريفات منها تعريف الجرجاني له أنه: الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدًا[٢].

وعرف أيضا بأنه: تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشخص لمن توافرت فيهم تلك المزايا[٣].

ومن الملاحظ على التعريف السابق تقييده بمن توافرت فيه صفات المدح بالفعل وهو بهذا يكون غير جامع إذ يخرج من المدح ما كان فيه عدم توافر المزايا في الممدوح والواقع أن ذلك داخل في المدح عموما سيما وأن المعرِّف كان يعرف المدح في الشعر ومن المعلوم أن الكثير من الشعراء يمدحون من توافرت فيه المزايا ومن لم تتوافر.

وأستطيع أن أعرفه بأنه: إظهار المحاسن بالكلام الجميل.

وهذا التعريف يشمل كل مدح سواء من شخص لغيره أو لنفسه وسواء كان الممدوح متصفا بما مُدح به أو فاقدا له فإن عملية الإظهار بالكلام لا يلزم منها الوجود.

والمداح: صيغة مبالغة من المدح تقع وصفا لمن تكرر صدور ذلك منه، والتكرر قد يكون سببا أن يصير هذا الأمر هيئة راسخة – ملكة – مما يصعب معه العلاج إلا بتكلف وشدة اعتناء.

قال ابن الجوزي رحمه الله محذرا من جعل المدح عادة للإنسان: ومثل ذلك لا يسلم من الكذب[٤].

---

[١] ينظر: لسان العرب: ٢/ ٥٩٠.

[٢] التعريفات: ٢٠٧.

[٣] المعجم الأدبي لجبور عبد النور: ٢٤٥.

[٤] كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٤/ ٢٧.

**المطلب الثالث: تأصيل عملية المدح وبيان علاقتها بموضوع البحث:**

**أولا: أدلة المدح وتأصيل عملية المدح:**

وردت في المدح أحاديث كثيرة منها ما يدل على الجواز ومنها ما يدل على عدمه فمما ورد في الجواز:

١. قوله صلى الله عليه وسلم: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر[١].

٢. قوله صلى الله عليه وسلم في حق أبي عبيدة عامر بن الجراح: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[٢].

٣. قوله صلى الله عليه وسلم: خير دور الأنصار، بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير[٣].

وأحاديث أخرى كثيرة مستفيضة تدل على جواز المدح كما فعله صلى الله عليه وسلم.

ومما ورد في عدم الجواز أحاديث أخرى ستأتي قامت عليها فكرة البحث لتضمنها الوسائل النبوية لمعالجة الغلو والتمادي في هذا الأمر.

---

[١] رواه الترمذي: أبواب المناقب- باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم: ٥/ ٦٦٤ رقم ٣٧٩١، وابن ماجه: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم - فضائل زيد بن ثابت: ١/ ٥٥ رقم ١٥٤، أحمد: ٢١/ ٤٠٦ رقم ١٣٩٩٠، والحديث صحيح قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[٢] الحديث متفق عليه عن أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري: كتاب المغازي - باب قصة أهل نجران: ٥/ ١٧٢ رقم ٤٣٨٢، ومسلم: كتاب الفضائل - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه: ٤/ ١٨٨١ رقم ٢٤١٩.

[٣] الحديث متفق عليه عن أبي أسيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري: كتاب المناقب - باب منقبة سعد بن عبادة رضي الله عنه ٥/ ٣٦ رقم ٣٨٠٧، ومسلم: كتاب الفضائل - باب في خير دور الأنصار رضي الله عنهم: ٤/ ١٩٥٠ رقم ٢٥١١، وأحمد: ٢٥/ ٤٤٥ رقم ١٦٠٤٩.

وقد يمكنني القول إن المدح تجري في توصيفه الأحكام التكليفية الخمس وذلك بحسب تكامل أطراف المدح من أركانه وشروطه أو فقده واحدا أو أكثر من شروطه، فعملية المدح الشرعية تفترض وجود أركان وشروط.

**فأركانها:**

١. مادح.

٢. ممدوح.

٣. كلام جميل من المادح في حق الممدوح.

**وشروطها:**

١. اتصاف الممدوح بما يقال فيه.

٢. توافر الدواعي للمدح. ويمكن تسمية عملية المدح التي تكاملت فيها الشروط بالثناء وهي عملية جائزة مباحة في الأصل، فإذا انضاف إليها مقصد شرعي من تحقق مصلحة فتدور حينئذ بين الوجوب والندب، أما مع فقد أحد الشروط أو أكثر تفقد هذه العملية جوازها وتصير محرمة أو مكروهة وتختلف تسميتها بحسب ما تفقده فتصير تملقا أو تزلفا أو إطراء أو تمادحا وتمدحا أو شدة إعجاب أو نفاقا ونحوها وهنا يدخل الغلو في المدح وتظهر آثاره بصورة جلية تستوجب وضع الأمور في نصابها وإلا وقع ما يحذر منه، والله أعلم.

**ثانيا: ظهور التعارض في أدلة المدح ودفعه:**

استشكل بعض الناس وجود تعارض في أدلة المدح فمنها وكما تقدم ما يدل على الجواز ومنها ما يدل على النهي، وقد جاء في كلام الحافظ ابن حجر ما يدفع هذا التعارض فقد وقفت على كلام له في موضعين من فتح الباري ما يشير إلى هذه القضية، أولهما قوله: ولكن تبقى الآفة على الممدوح فإنه لا يأمن أن يُحدِث فيه المدح كبْرا أو إعجابا أو يكله على ما شهره به المادح فيفتر عن العمل لأن الذي

يستمر في العمل غالبا هو الذي يعد نفسه مقصرا فإن سلم المدح من هذه الأمور لم يكن به بأس وربما كان مستحبا[١].

وثانيهما: وأن النهي عن المدح في الوجه مخصوص بما إذا كان غلو مفرط أو كذب ظاهر ومن ثم لم ينه عمر الشاب عن مدحه له مع كونه أمره بتشمير إزاره[٢].

وبذا يتبين أن الجواز مقيد بأن يأمن معه الممدوح على نفسه من التبعات المذمومة، وأن النهي فيمن يسبب له المدح عجبا وكبرا وغرورا وغيرها.

وهذا التعارض يمكن أن يفهم وجوده في أدلة الجواز والنهي لكنه لا يتصور فيما يتعلق بموضوع بحثنا وهو الغلو في المدح فهو غير جائز وتدل عليه عموم الأدلة.

**ثالثا: تَحَذُّر العلماء من المدح وخوفهم على أنفسهم:**

لقد خشي العلماء الصادقون من تعرضهم لهذه الآفة وخافوا على أنفسهم من تمكنها منهم، وإن وجود الطلاب والمقتدين وبعض المتقربين يزيد من فرص تكرر المدح والثناء بحقهم ولذا وجدناهم يتعاملون مع حدوثه تعاملا منضبطا حذر الانزلاق في المآلات، ومن أمثلة ذلك:

وروي أن رجلا قال لابن عمر: يا خير الناس وابن خيرهم، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خيرهم، ولكني عبد من عباد الله أرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه[٣].

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجا، بأي شيء هذا؟[٤].

---

[١] فتح الباري: ١٠/٤٧٨.

[٢] فتح الباري: ٧/٦٩.

[٣] جامع معمر بن راشد: ١١/٢٧٢ رقم (٢٠٥٢٣)، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، أو غيره، أن رجلا قال لابن عمر، به.

قلت: ورجاله ثقات مشهورون إلا أن الشك من أيوب بقوله عن غيره قد يضعف الحديث لأجل الجهالة، والله أعلم.

[٤] سير أعلام النبلاء: ١١/٢١٠.

وقال أيضا: قلت لأبي عبد الله: إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار، فقال: يا أبا بكر، إذا عرف الرجل نفسه، فما ينفعه كلام الناس[١].

وقال ابن عيينة لا يغر المدح من عرف نفسه[٢].

ومنها ما رواه البيهقي بإسناده إلى محمد بن زياد، عن بعض السلف، أنه كان يقول في الرجل يمدح في وجهه، قال: التوبة منه أن يقول: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيرا مما يظنون[٣].

وقال ابن عيينة: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عن الإسلام خيرا، قال: بل جزى الله الإسلام عني خيرا[٤].

ومنها ما نقله محمد بن زهير أبو جعفر نقل عن الإمام أحمد بن حنبل قال: أتيت أبا عبد الله في شيء أسأله عنه فأتاه رجل فسأله عن شيء أو كلمه في شيء فقال: له جزاك الله عن الإسلام خيرا فغضب أبو عبد الله وقال له من أنا حتى يجزيني الله عن الإسلام خيرا بل جزى الله الإسلام عني خيرا[٥].

ومنهم الحافظ ابن حجر رحمه الله فقد قال له بعض تلاميذه مرة: يا سيدي، إن لك بفتح الباري المنة على البخاري، فقال له: قصمت ظهري[٦].

وفي كل ما تقدم نرى حرص العلماء على أنفسهم وخوفهم على أنفسهم من أن يدخلها ما يضرها من أمراض مترتبة على المدح، كما أن في أقوالهم ما يدل على معرفة العالم بقدر نفسه وحسن تعامله مع الحدث.

---

[١] المصدر نفسه: ١١/ ٢١١.

[٢] تاريخ دمشق: ٥٤/ ٨٤، وفتح الباري: ١٠/ ٤٧٨، وفيه: من عرف نفسه لا يضره المدح.

[٣] شعب الإيمان: ٦/ ٥٠٤ رقم ٤٥٣٤.

[٤] سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٤٧.

[٥] طبقات الحنابلة: ١/ ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء: ١١/ ٢٢٥.

[٦] الجواهر والدرر للسخاوي: ٣/ ١٠٢٣-١٠٢٤.

## المبحث الثاني

## أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الغلو

وسأذكر فيه الأساليب التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم في علاج الغلو في المدح في المطالب الآتية:

### المطلب الأول: الأمر المباشر للمادح بترك الغلو بالمدح والعدول إلى ما ليس فيه ذلك.

**قال الإمام البخاري:** حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا خالد بن ذكوان، قال: قالت الربيع بنت معوذ ابن عفراء، جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا، يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين»[(١)].

إن الغلو ومجاوزة القصد في العبادة وغيرها مذموم، وإن المحمود من جميع ذلك ما أمكنت المواظبة معه وأمن صاحبه العجب والوقوع في غيره من المهلكات[(٢)].

وتعد مجاوزة الحد في المدح صورة من صور الغلو يترتب عليها مفاسد منها ما هي مفسدة فردية ومنها ما هي جماعية ذلك كون أن الممدوح المتسنم مسؤولية ما تبدأ النفوس المحبة له أو الضعيفة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة: ٣/ ١١٩٠ رقم ٥١٤٧، قال: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء: ٤/ ٢٨١ رقم ٤٩٢٢، قال: حدثنا مسدد حدثنا بشر، والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح: ٢/ ٣٨٥ رقم ١٠٩٠،قال: حدثنا حميد بن مسعدة البصري ، قال: حدثنا بشر بن المفضل، وابن ماجه: كتاب النكاح، باب الغناء والدف: ٣/ ٣٣٩ رقم ١٨٩٧، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال: حدثنا يزيد بن هارون ، قال: حدثنا حماد بن سلمة، وأحمد: حديث الرُبَيّع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها: ٤٤/ ٥٧٤ رقم ٢٧٠٢٧، قال: حدثنا عفان، قال حدثنا حماد بن سلمة.

مسدد وحميد بن مسعدة عن بشر بن المفضل، ويزيد بن هارون وعفان عن حماد بن سلمة.

وكلاهما حماد بن سلمة، وبشر بن المفضل عن خالد بن ذكوان أبي الحسين، به.

(٢) فتح الباري: ١٠/ ٥٢٦.

بالتقرب منه إما محبة أو لأجل تحصيل مكاسب آنية فيكثر مدحه ربما بما ليس فيه، مما يجعل الشخص الممدوح إن لم يكن عالما بقدر نفسه يظن في نفسه غير ما هو عليه في الواقع.

وقد بين الحديث أن المجاوزة في المدح لا تجوز، فالنبي صلى الله عليه وسلم استمع إلى الجويريات وهن يندبن آباء الربيّع وهم أبوها معوذ وعمّاها معاذ وعوف، وكيف أنهما قامتا بذكر أوصافهم، والثناء عليهم، وتعديد محاسنهم من الكرم والشجاعة ونحوها، وكل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم، حتى إذا ما وصلت إلى قولها (وفينا نبي يعلم ما في الغد) بادرها النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام أن اتركي هذا القول[١].

فأشار إلى علة المنع وهي الغلو في الإطراء، وفي الحديث إشارة إلى جواز سماع المدائح والمراثي ما لم تفض إلى الغلو[٢].

وإنما كره النبي صلى الله عليه وسلم ما قالته لكراهيته نسبة علم الغيب إليه، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وإنما يعلم الرسول من الغيب ما أخبره به الله سبحانه، وهو صفة تختص بالله تعالى كما قال تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ)[٣]، وقوله لنبيه (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)[٤]، وقيل إنما كره قولها لأنه ذكر في أثناء ضرب الدف وأثناء مرثية القتلى لعلو منصبه عن ذلك[٥].

قلت: لكن سياق النهي وزمنه يشير إلى أن السبب في المنع هو مجاوزة الحد في المدح فلو كان ضرب الدف من الجويريات ورثاؤهن القتلى هما سبب المنع لكان المنع لازما من أول سماعه لهن صلى الله عليه وسلم لكن الروايات صريحة بعكس ذلك وأنه استمع لهن حتى قلن ما قلنه فتوجب البيان،

---

[١] ينظر: فتح الباري: ٩/ ٢٠٣، وعون المعبود: ١٣/ ١٨٠.

[٢] ينظر: فتح الباري: ٩/ ٢٠٣، وتحفة الأحوذي: ٤/ ١٧٩.

[٣] سورة النمل: من الآية ٦٥.

[٤] سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

[٥] تحفة الأحوذي: ٤/ ١٧٩.

لكن يمكن أن يفهم من الحديث بمفهوم المخالفة جواز مدح الرجل في وجهه ما لم يخرج المدح إلى ما ليس فيه.

ومما يدخل في هذه الأسلوب العدول بالمدح مما ليس في الممدوح إلى ما هو عليه حقا، ومن ذلك ما روى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن رجلا، قال: يا محمد، يا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيدنا وابن سيدنا، فقال: قولوا بقولكم ولا يستجركم الشيطان – أو الشياطين، إحدى الكلمتين – أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله[١].

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله[٢]، وفي حديث آخر أنه جاءه رجل فقال : أنت سيد قريش . فقال : السيد الله[٣].

قال ابن الأثير: أي هو الذي يحق له السيادة، كأنه كره أن يحمد في وجهه وأحب التواضع، ومنه الحديث لما قالوا: أنت سيدنا، قال: قولوا بقولكم أي: ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله، ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم، فإني لست كأحدهم ممن يسودكم في أسباب الدنيا[٤].

**المعاني المتحققة من الأسلوب الأول:**

١. أن المجاوزة في المدح لا تجوز لأن في ذلك إطراء منهياً عنه[٥].

٢. على من وقع في حقه مجاوزة في المدح بما ليس فيه المبادرة إلى التنبيه والنهي عن ذلك.

---

[١] مسند أحمد: ٢١٦/٢١ رقم (١٣٥٩٦)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٢] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦] : ١٦٧/٤ رقم ٣٤٤٥، ومسند أحمد: ٢٩٥/١ رقم ١٥٤.

[٣] مسند أحمد: ٢٣٥/٢٦ رقم ١٦٣٠٧.

[٤] النهاية في غريب الحديث: ٤١٧/٢.

[٥] ينظر: فتح الباري: ٢٠٣/٩.

٣. عظمة الإنسان لا ترفعه عن حد البشرية من حيث المطلق، ولا تدخله في حد اتصافه بمواصفات لا تكون إلا للإله.

٤. كبار النفوس هم من عرفوا قدر شأنهم ومكانتهم ولا ينخدعوا بما يقوله الغير مما ليس فيهم فتراهم يبادرون إلى البيان ولا يخشون أن يقل شأنهم عند الناس.

**المطلب الثاني: تبيين خطورة الغلو في المدح وأثره السيء على الشخص الممدوح.**

**قال الإمام البخاري:** حدثنا محمد بن صباح، حدثنا إسماعيل بن زكرياء، حدثنا بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى، قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: أهلكتم، أو: قطعتم ظهر الرجل[١].

إن ذكر ما يستحقه الإنسان بما يحمله من صفات حسنة هو أمر حسن ومطلب شرعي فيه مصالح متحققة فردية خاصة ومجتمعية عامة لما يحصل من التشجيع والتأسي والتأثر الإيجابي وإعطاء صاحب الحق حقه لكن ذلك مقيد بقيام الحاجة لذلك وعدم الغلو فيه بتحوله من مطلب شرعي إلى ما يضاده ويعاكسه، فسياق الحديث مشعر بوجود عملية تحول من عملية الثناء وهي جائزة إلى الإطراء وهو المبالغة في المدح.

قال ابن بطال: النهي عن أن يفرط في مدح الرجل بما ليس فيه؛ فيدخله من ذلك الإعجاب، ويظن أنه في الحقيقة بتلك المنزلة؛ ولذلك قال: قطعتم ظهر الرجل حين وصفتموه بما ليس فيه. فربما ذلك على العجب والكبر، وعلى تضييع العمل وترك الازدياد من الفضل، واقتصر على حاله من حصل موصوفا بما وصف به[٢].

---

[١] الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب الأدب - باب ما يكره من التمادح : ١٨/٨ رقم ٦٠٦٠، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق - باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٢٢٩٧/٤ رقم ٣٠٠١، وأحمد: ٤٦٦/٣٢ رقم ١٩٦٩١ . كلهم عن أبي جعفر محمد بن الصباح، قال: حدثنا إسماعيل بن زكرياء، عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة، به.

[٢] شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٥٣/٩-٢٥٤.

**المعاني المتحققة من الأسلوب الثاني:**

١. قد يتطور المدح من مجرد الثناء إلى الإطراء وهو المبالغة في المدح[١].

٢. ترتيب الأذى الكبير على الممدوح بسبب فعل المادح قد يصدم المادح وينبهه على مدى خطورة هذا الفعل مما يجعله ينثني عنه.

٣. أن المدح والإطراء لهما نتائج سلبية غالبة التحقق عند الممدوح مما ينبغي معه الترك لأجل غلبة الظن في الفساد.

## المطلب الثالث: التحذير من التمادح.

**قال الإمام أبو بكر ابن أبي شيبة:** حدثنا غندر عن شعبة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن معبد الجهني عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والتمادح فإنه الذبح[٢].

الحديث صريح في التحذير من التمادح لما يؤول إليه غالبا من حدوث نتائج نفسية سلبية شبهها النبي صلى الله عليه وسلم بالذبح فيكون المادح كأنه ذبح عمل الممدوح وقطعه عن أسباب استمراره عليه أو ذهاب بركته وورعه به وتحقق تقواه لأجل حدوث إعجاب الممدوح بنفسه وبعمله ودخول الغرور واتساع النفس بهذه الشهوة المعنوية وقد يصل به إلى حد الكبر شيئا فشيئا

---

[١] قال المناوي: الإطراء: المبالغة في المدح ومجاوزة الحد فيه أو مدح الإنسان بأحسن ما فيه. التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٤.

[٢] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٥/٢٩٧ رقم ٢٦٢٦١، قال: حدثنا غندر، ومن طريق ابن أبي شيبة رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب – باب المدح: ٢/١٢٣٢ رقم ٣٧٤٣، ورواه أحمد في مسنده قال: حدثنا عثمان، كلاهما غندر وعثمان، عن شعبة، به.

قال البوصيري: هذا إسناد حسن معبد مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات... وأصله في الصحيحين.

وقول البوصيري: أصله في الصحيحين يريد به الحديث المتقدم (قطعتم ظهر الرجل...) فالتحذير من المدح متضمن فيه، والله أعلم.

مصباح الزجاجة: ٤/١١٩.

وهنا يتأكد أن يُنظر إلى الكم الكبير والمقدار العظيم من وجوب معرفة المرء بنفسه وتأديبه لها وتحديثه إياها بقدرها الحقيقي كي لا تنساق وراء الظنون والأوهام.

قال السندي: قوله: فإنه الذبح لأنه قد يغتر به صاحبه[١].

**المعاني المتحققة من الأسلوب الثالث:**

١. أن التمادح مذموم لأجل تنصيص التحذير منه.
٢. نتائج التمادح كأنها يقينية في حدوث الأثر السيء مما يلزم معه الاجتناب.
٣. أن التمادح يقطع أوداج العمل والصفات المحمودة وهو قطع معنوي كما يقطع السكين أوداج الحيوان قطعا ماديا.

## المطلب الرابع: تقييد المدح بعدم التزكية وقرنه بلفظ "أحسبه كذا والله حسيبه.

**قال الإمام البخاري:** حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارا، ثم قال: «من كان منكم مادحا أخاه لا محالة، فليقل أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»[٢].

---

[١] حاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٢/٤٠٧.

[٢] الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الشهادات – باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه: ٣/١٧٦ رقم ٢٦٦٢: قال: حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد الحذاء، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق – باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٤/٢٢٩٦ رقم ٣٠٠٠، وغيرها: قال: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا يزيد بن زريع، عن خالد الحذاء، وأبو داود كتاب الأدب – باب في كراهية المدح: ٤/٢٥٤ رقم ٤٨٠٥: قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو شهاب، عن خالد الحذاء. و"ابن ماجه كتاب الأدب – باب المدح: رقم ٣٧٤٤: قال: حدثنا أبو بكر، حدثنا شبابة، حدثنا شعبة، عن خالد الحذاء.

كلهم عبد الوهاب ويزيد بن زريع وابن شهاب وشعبة عن خالد الحذاء عن عبد الرحمان بن أبي بكرة، به.

إن مدح المرء لغيره أمر غير لازم وينبغي أن لا يقدم عليه بغير مبررات تستدعيه، فإن احتيج للمدح فعلى المادح أن لا يقطع بوجود الصفات الحسنة والخصال الجميلة في الممدوح ويتكلم بأمر كأنه ثابت، والواقع أن طروء التغير ممكن على الممدوح، وفي واقعنا الذي نعيشه من الأمثلة الكثيرة على ذلك، فعليه إذن أن يذكر الممدوح على وجه الظن ولا يزكي على الله أحدا فهو وحده أعلم من تزكّى، وعليه أن يتبع كلامه بقوله: أحسبه كذا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسب كذا وكذا، وفي تكرار الفعل أحسب تكرار التنبيه من المادح لنفسه أن لا يبالغ في المدح بل يصف الممدوح بما لا يزيد من مكانته ولا ينقص من شأنه.

قال السندي: قوله: (أحسبه) أي: لا يقطع بذلك، بل يذكره على وجه الظن حتى يخرج من شين التزكية على الله تعالى، وأيضا هو أقل إغرارا من القطع في حق صاحب المدح والله أعلم[1].

**المعاني المتحققة من الأسلوب الرابع:**

١. يترتب على تزكية المسلم لغيره حصول قبول المُزَكَّى عند الغير، وفي هذا القبول تثبيت لصفات حسنة قد لا تكون فيه يبني عليها السامع الحاضر عملية المدح أو من نقل إليه خبر المدح تصورا حسنا غير متحقق في المُزَكى.
٢. تغير أحوال الناس من الخير إلى الشر يلزم منه أن يراجع المادح كلامه ولا يطلقه بصيغة الثبوت.
٣. عدم القطع بالتزكية فيه تأديب للمادح أن لا يقطع بأمر يعلمه الله.
٤. عدم القطع بالتزكية فيه إحالة للسامع أن يباشر ما يريد معرفته عن الممدوح بنفسه ويتأكد من تحققه فيه من عدمه، وكل ذلك يعني عدم التسليم للمادح.

**المطلب الخامس: إرشاده صلى الله عليه وسلم إلى حثو التراب في وجوه المداحين.**

**قال الإمام مسلم:** حدثنا محمد بن المثنى، ومحمد بن بشار - واللفظ لابن المثنى - قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له

[1] حاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٢/٤٠٧.

عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب﴾[١].

صرح الحديث ببيان أسلوب من أساليب معالجة الغلو في المدح وهو حثو التراب في وجوه المداحين.

قلت: قد اختلفت أفهام الناظرين لهذا الحديث بين أمرين:

**الأول:** حمل اللفظ على ظاهره والقيام بحثو التراب بالفعل في وجوه المداحين.

وممن حمل هذا الحديث على ظاهره المقداد الذي هو راويه ووافقه طائفة وكانوا يحثون التراب في وجهه حقيقة[٢]، وممن فعله كذلك من الصحابة رضي الله عنهم ابن عمر رضي الله عنهما فعن عطاء بن أبي رباح قال: كان رجل يمدح ابن عمر قال: فجعل ابن عمر يقول هكذا يحثو في وجهه التراب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب[٣].

---

[١] أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق – باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح: ٤/ ٢٢٩٧ رقم ٣٠٠٢، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن المثنى، والترمذي: رقم ٢٣٩٣، قال: حدثنا محمد بن بشار، وابن ماجه: رقم٣٧٤٢، قال: حدثنا أبو بكر، وأحمد: ٥/٦ رقم ٢٤٣٢٩. قال: حدثنا علي بن عبد الله، كلهم عن عبد الرحمان بن مهدي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن أبي معمر، به.

[٢] شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢٨/١٨.

[٣] مسند أحمد: ٤٩٦/٩ رقم ٥٦٨٤، والحديث مختلف فيه لأجل الإختلاف في سماع عطاء ابن أبي رباح من ابن عمر فنفاه أحمد (المراسيل لابن أبي حاتم: ١٥٤ )، وأثبته الفضل بن دكين ففي التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٤٦٤): وقال أبو نعيم: مات سنة خمس عشرة ومائة، سمع أبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وجابرا وابن عمر رضي الله عنهم.

وعلى كل فحديثنا في هذا الأسلوب صحيح ويثبت قضية حثو التراب وما قد يكون لا يثبت هو فعل ابن عمر رضي الله عنهما على فرض عدم سماع عطاء منه.

**الثاني:** تأويل ظاهر اللفظ عن حقيقته والذهاب إلى أن الأمر قد جاء لتخييب المداحين عن مرادهم وزجرهم، كما يقال للطالب المردود والخائب: لم يُحَصِّل في كفه غير التراب.

قال النووي: وقال آخرون معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئا لمدحهم[١].

قال الخطابي: وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره وحمله على وجهه في تناول عين التراب بيده وحثيه في وجه المادح، وقد يتأول أيضا على وجه آخر وهو أن يكون معناه الخيبة والحرمان أي من تعرض لكم بالثناء والمدح فلا تعطوه واحرموه[٢].

والمراد من قوله (المداحين) من يمدحون الناس في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم، وإلا فقد مُدِح النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث في وجه المداحين ولا أمر بذلك[٣].

قال ابن الأثير: وأراد بالمداحين الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح، فأما من مدح على الفعل الحسن والأمر المحمود ترغيبا في أمثاله وتحريضا للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحا بما تكلم به من جميل القول[٤].

**المعاني المتحققة من الأسلوب الخامس:**

١. تعين إيقاف المداح عند حد ما وتنبيهه كي لا يتجاوزه.

٢. إفهام المداح بفساد فعله.

٣. فضح المداح أمام من يشهد مجلس قوله.

٤. إرجاع المداح خائبا.

---

[١] شرح النووي على صحيح مسلم: ١٨/١٢٨.

[٢] معالم السنن: ٤/١١١.

[٣] شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٩/٢٥٤.

[٤] النهاية في غريب الحديث: ١/١٨٤.

٥. للممدوح خاصة ولمن يتتبع تطبيق السنن عامة ممن يقع أمامه التمادح حثو التراب في وجه المداحين حثوا معنويا بتخييبهم، أو ماديا بإلقاء التراب على وجوههم.

## المطلب السادس: بيان أن التمادح طريق من طرق الشيطان

**قال الإمام أبو داود:** حدثنا مسدد، حدثنا بشر يعني ابن المفضل، حدثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن مطرف، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله تبارك وتعالى قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[(١)].

ينبغي أن تبرز لدى الممدوح الحذق والفاهم مآلات الأمور والأسباب التي أدت إلى من يقوم بمدحه على قيامه بهذا الفعل وعليه أن يكون فطنا وحذرا فيجيب المادح بما يستحقه وان لا يتركه يتسلسل في فعله ويتدرج بصعوده في الوصف بل حتى لو كان بعض المدح صحيحا فأيضًا تبرز ضرورة التنبيه للمادح كي يستوقف نفسه عند حد لا يتجاوزه، ففي الحديث هنا ما صدر من مدح للنبي صلى الله عليه وسلم كان متحققا فيه بالفعل بل ومصرحا به منه عليه الصلاة والسلام في مواطن سبق أن صرح لهم بها وهي قوله: (أنا سيد ولد آدم)[(٢)]، لكن خشية النبي صلى الله عليه وسلم على المادح من أن يغلبه الشيطان ويجعله وكيلا له في إيصال الرسائل السلبية التي تحمل محتوى ذا مردود سلبي.

---

(١) رواه أبو داود: كتاب الأدب – باب في كراهية التمادح: ٤/ ٢٥٤ رقم ٤٨٠٦، وأحمد: ٢٦/ ٢٣٤ رقم ١٦٣٠٧. قال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا أبو مسلمة، عن أبي نضرة، وقال أحمد: حدثنا حجاج، حدثني شعبة. قال: سمعت قتادة، كلاهما قتادة، وأبو نضرة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، به. قال العظيم آبادي: إسناده صحيح. عون المعبود: ١٣/ ١١٢. وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم. هامش مسند أحمد: ٢٦/ ٢٣٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل – باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق: ٤/ ١٧٨٢ رقم ٢٢٧٨.

وقوله صلى الله عليه وسلم هنا: (أو بعض قولكم) فيه حذف واختصار ومعناه دعوا بعض قولكم واتركوه واقتصدوا فيه بلا إفراط، أو دعوا قولكم سيدا وقولوا نبيا ورسولا، وقوله: لا يستجرينكم الشيطان معناه لا يتخذنكم جريا والجري الوكيل ويقال الأجير[١].

قال ابن الأثير: أي لا يغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه[٢].

**المعاني المتحققة من الأسلوب السادس:**

١. أن التمادح أحد طرق الشيطان.
٢. أن الغالي في المدح وكيل للشيطان ومستعمَل له عرف ذلك من نفسه أو لم يعرف، وغالبهم يعرف ذلك.
٣. تعريف الغالي في المدح بحقيقة فعله كي ينتهي عنه.

---

[١] عون المعبود: ١٣/ ١١٢.

[٢] النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٦٤.

## الخاتمة

توصلت في هذا البحث إلى نتائج أجملها فيما يأتي:

١. أن المدح في نفسه جائز فقد مدح الله ونبيه صلى الله عليه وسلم أشخاصا يستحقون المدح كونهم قد توافرت فيهم أسباب المدح، بل إن الله تعالى يحب أن يُمْدَح.

٢. أن المنهي عنه هو التمادح وهو عملية مشتركة بين أكثر من شخص وقد تكون من طرف واحد يقوم بمدح شخص أو أشخاص بالباطل أو بما ليس فيهم، أو أن يمدح نفسه.

٣. أن الأساليب التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم لعلاج الغلو في المدح هي:

أ- الأمر المباشر للمادح بأن يترك الغلو بالمدح ويعدل عنه إلى ما ليس فيه غلو.

ب- التنفير من المداحين، وهي صيغة مبالغة تشير إلى من يكثر صدور المدح منه.

ت- بيان الممدوح حقيقة ما هو عليه، فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يمدح هو بما ليس فيه فمن باب الأولى النهي على من هو دونه، وبين للممدوح وذلك قوله: لا تطروني، وقوله: السيد الله، وقوله: فإنما أنا عبد الله ورسوله.

ث- أمره بأن نحثي في وجه المداحين التراب، ومن الصحابة من حمل الأمر على الحقيقة ومنهم المقداد وابن عمر رضي الله عنهما فقاموا بحثي التراب على المداحين.

ج- أن يمدح المرء ليس على أساس الجزم وثبوت الصفة الممدوح بها فقد لا تكون فيه، ولذلك علمنا أن نقول: أحسب فلانا، والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسب كذا وكذا.

ح- بيان أن التمادح طريق من طرق الشيطان.

ولا ينفي الباحث وجود وسائل أخرى عامة وغير مباشرة لمعالجة الغلو في المدح مأخوذة من الأساليب والوسائل الشرعية العامة في التربية ومعالجة الأنفس والأمراض المجتمعية لكن ما تقدم يعد وسائل مباشرة ومنصوص عليها في كيفية التشخيص والعلاج.

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## المصادر والمراجع


١. أساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزمخشري: تحقيق عبد الرحيم محمود - طبع دار المعرفة - بيروت- د.ت.

٢. الاعتصام: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط: ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. (د. ت).

٥. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط: ١، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦. الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق): لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبي عروة البصري، نزيل اليمن (ت: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، (ط:٢)، ١٤٠٣ هـ.

٧. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه: محمد بن عبد الهادي التتوي، لأبي الحسن، نور الدين السندي (ت: ١١٣٨هـ)، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.

٨. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٩. سنن ابن ماجه: لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٠. سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١١. شرح صحيح البخاري: لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط: ٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٢. شرح النووي على صحيح مسلم: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢.

١٣. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، ط: ١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٤. صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

١٥. صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦. طبقات الحنابلة: لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

١٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، ط: ٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٩. القاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

٢١. مختار الصحاح: لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٢. المراسيل: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: شكر الله نعمة الله قوجاني، ط: ١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٣٩٧.

٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٤. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، ط: ٢، دار العربية – بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٢٥. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود: لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، ط: ١، المطبعة العلمية – حلب، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

٢٦. المعجم الأدبي لجبور عبد النور، ط: ٢، طبع دار العلم للملايين- بيروت - ١٩٨٤.

٢٧. النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.